

# وصايا الجنوبي العشر

. محمد ديبو .

❖ - الجنوبي هو الشاعر أمل دنقل، الذي كتب القصيدة المشهورة «مقتل كليب والوصايا العشر»، والتي اصطَلَحَ الناسُ على تسميتها «لا تصالح». وكان قد كَتَبَ القصيدة صرخة غضب واحتجاج في وجه السادات، الذي دعا إلى الصلح مع إسرائيل.

- ١ -

لا توطِّن... .

ولو سكنوك جنان الخلود .

لا تعوض... .

ولو عشت عيش العبيد .

لا توطِّن... .

ولو قيّدوك بقيد القيود .

لا تعوض... .

ولو عوضوك

بمال الجزيرة،

نفت العرب .

لا توطِّن... .

ولو مدن الشرق والمال

أهدوك، قالوا:

هي لك .

- ٢ -

لا توطِّن... .

ولو سكنوك قصور المنافي .

فلسطين، أنت مكانك، لا

لا سواها

مكان مكانك .

فلسطين: أرضك،

مكانك،

مجازك،

زمانك .

مكانك أنت: فلسطين، رائحة البن عند الصباح

وبيارة البرتقال، صدى الشهداء،

سهيل الجليل .

زمانك أنت: فلسطين، موسم قمح، وصية أم،

صراخ الصبية

على كل منفي وباب:

لا توطِّن .

- ٣ -

لا تصدق

بأن بيوت أخيك كبيتك،

وأن نقود أبيك كمالك .

وما حك جلدك إلا أظافر

تغرسها بعيون الذين يقولون:

وطن وعوض .

فناد... .

بوجه حقود، بهم اصرخ:

كلاب الليالي،

ذئاب الكراسي،

تبيعون دمي عقاراً

تبيعون أرضي قماراً

تبيعون تاريخ شعبي: سفايح

مراراً

مراراً .

- ٤ -

يقولون: «مر الزمان

فكف الأذى، واتق الشر وأنس .»

أتنسى؟

وماذا ستنسى؟

أتنسى دمائك سالت على

كل باب ومنفى؟

أتنسى الذين أذلوك

عند صليب المسيح؟

أتنسى وصايا «الجنوبي»؟

أتنسى أنين الصبايا، وهن

يشاهدن أمك تغتصب الفجر

فوق فراش أبيك؟

أتنسى

الدماء، الدموع، الشهيد، عراء المنافي

حنين الطفولة،

طفلة حزن صغيرة،

تنادي اليمامة،

لتأخذ منها وشاح السواد،

وتدروهُ فوق جبال

الجليل:

إن بعث أرض بلادك .  
أنا أول اللاعنين  
سألعن من أنجيك .  
وأرسم وجهك فوق جدار المنافي ،  
وفوق تراب بلادي .  
أقول لأطفال يافا  
وحيفا وكل فلسطين ،  
الذين سيأتون يوماً  
وعن وطن  
يبحثون ؛  
أقول لهم :  
ذي وجه الذين  
بمال خسيس ،  
وبضع قروش قليله  
فلسطين باعوا  
وحلم الطفوله !

- ٦ -

لا توطن ...  
ولو لك قالوا :  
« سيأتي السلام ،  
فخذ ما تحصله الآن  
قبل فوات الأوان . »  
سلاماً هزيباً  
يكون .

ستمحوه أحجار طفل  
يعربد رقصاً ،  
ويهوي  
شهيده المنون .

- ٧ -

لا توطن ...  
ولو في مخيم بؤس  
بقيت زمن .

عمامه ؟  
أتنسى ؟  
ولو كل هذا نسيت  
أتنسى الوطن ،  
أم جنوح الطفولة تنسى ؟  
ورائحة الأمهات أتنسى ؟  
وطعم الحليب على صدرهن  
يعشعش لوزاً وتيناً  
ويصدح صوت العجر  
سنابل قمع تغني  
وليلاً يناجي القمر ؟  
في سماء فلسطين ،  
يحلو السهر :  
نجوم تغازل بعضاً ،  
وأخرى تراقب  
هذا السفر ،  
ورب يدندن عشقاً :  
فلسطين ، حباً ، هيماً  
عقيقاً ،  
سحر .  
ولو كل هذا نسيت  
أتنسى  
بأن ليس لديك وطن ؟

- ٥ -

لا تعوض ...  
وإن بعث أرضك ، سوف - إلى أبد الدهر -  
تبقى حذاء تدوس عليه  
كلاب الطريق ،  
وتأبى قراد الخيول  
الجلوس عليه ،  
وتبقى حياتك أنت  
سدى في سدى .  
ستبقى أبد الدهر ملعوناً

لا توطَّن... .

ولو باعَكَ القَادَةَ النَّائِمُونَ  
على عرشِ المَحَنِّ .  
يدورُ الزَّمَانُ  
وتُرْمَى كراسي العروشِ ،  
وأنتَ ستبقى  
ومهما يطولُ  
الزمنُ .

- ٩ -

لا توطَّن... .  
ولو نصَّبوكَ إلهًا .  
لا توطَّن... .  
ولو لكَ قَالَتْ  
ملوكُ الجزيرِةِ ،  
شيخُ القبيلِةِ ،  
خنازيرُ طاولةِ مستديرةِ !  
لا توطَّن... .

- ٨ -

لا توطَّن... .

وكنْ ، يا حبيبي ،  
جديرًا بما سوفَ يأتي... .  
جديرًا برائحةِ الإنتظارِ ،  
شذى الياسمينِ ،  
لمى البرتقالِ المعتقِّ .  
جديرًا بليلِ طويلِةِ  
ينزُ الصباحُ ، رويدا ،  
وعطراً منشقِّ .  
جديرًا بحلمِ له الشمسُ دوماً  
تُشعُّ ضياءً ونصرًا  
محققًا .  
جديرًا بقدسِ  
لها الليلُ دوماً ، يُنارُ دماءً  
لطفلِ ينامُ ويُعشِقُ .  
لا توطَّن... .  
وكنْ ، يا حبيبي ،  
جديرًا بما سوفَ يأتي :  
ضياءً وفجرًا معتقِّ .  
لديكَ

ولو سَكَنوكَ قُصورَ السماءِ المنيرةِ .  
أعطيكَ ومَضُ القصورِ  
حنانَ الوطنِ ؟  
أعطيكَ كسرةَ خبزِ لها ما لها  
من مذاقِ الشَّجْنِ ؟  
أعطيكَ صوتَ اليمامِ هديلاً ؟  
فلسطينُ وردي ، شرايينُ رُوحِي  
كُتبتُ أسمكَ الحلوَ  
وشمًا ، لِحِينًا ،  
على هسهساتِ الزمنِ .  
في سماءِ فلسطينِ  
يحلُو الشَّجْنُ .  
نجومٌ تغازلُ بعضًا ،  
وأخرى تراقبُ هذي  
السُّقُنِ ،  
وربُّ يدندنُ جوعًا :  
جهنمُ مأوى  
لمن باعَ ميلاً من العشقِ ،  
أو خارجَ الأرضِ  
وطَّن !

- ١٠ -

لا

توطَّن... .

بلادٌ إليها تعودُ ،  
وأرضٌ تحنُّ إلى عاشقيها ،  
حينئذٍ بناي الورودِ  
مُوسقِّ .